لماذا تغيب الدراما السياسية عن شاشات مجتمعات تتنفس سياسة

الأعمال التلفزيونية لا تقتفي آثار السياسة والسياسيين في العالم العربي

الدراما السياسية في العالم العربي شبه غائبة عن الشاشات رغم وفرة وغنى مواضيعها، بالإضافة إلى كونها حديث الناس، لكنها، إن وجدت، فإنها لا تعدو أن تكون إما دعاية سياسية أو استخدامها كرأس حربة لتصفية الحسابات الخارجية، وذلك لتشديد الرقابة والتكتم تحت ذريعة المحافظة على الخصوصيات.

حكيم مرزوقي
كاتب تونسي

فائض هائل من التحوّلات الدراماتيكية والسير المثيرة للجدل في حياة الساسة العرب بقي في أغلبه مغمورا، وسجين الأدراج والمذكرات الشخصية.

لم تقترب كاميرا الدراما العربية من هذه الملفات إلاّ بالقدر النادر واليسير، ولمجرد التوثيق التاريخي لحدث ما، كأن نلج صورة حاكم البلاد تعلو مكتب محقّق في الشرطة مثلا.. وما عدا ذلك فالأمر لا يتمّ إلاّ عبر تكليف رسمي أو شبه رسمي يهدف، في معظمه، إلى الدعاية السياسية لزعيم أو تيار بعينه كما حدث مع سيرتي جمال عبدالناصر وخلفه أنور السادات.

نجاح كوميدي

أسباب عدم الاقتراب من حياة السياسيين في الدراما العربية، تبدو في ظاهرها واضحة، ولا تحتمل مجرد النقاش.. ألا وهي المسألة الرقابية وتعقيداتها أولا، بالإضافة إلى عدم الرغبة في التعرّض للشأن الشخصي لأفراد مازال أبناؤهم وأحفادهم على قيد الحياة.

المسلسل المصري «الاختيار 2» لامس بعض القضايا السياسية الحارقة، لكنه لم يكسر طوق الوطنيات الحماسية

نعم، قد يكون الأمر مقنعا في حدود هذه الضوابط والمعطيات التي يؤخذ بعضها بعين الاعتبار في الديمقراطيات الغربية أيضا، لكن السؤال هنا يتعلق بامتناع الدراما العربية عن التطرّق إلى الشأن السياسي، واكتفائها بالاجتماعي والتاريخي.

«بقعة ضوء» نجح في نقد بعض الظواهر السياسية من بوابة الكوميديا

لماذا تغيب الدراما السياسية عن شاشات مجتمعات تتنفس سياسة "صباحا مساء، وقبل الصباح وبعد المساء ويوم الأحد"، كما يقول الشاعر التونسي الراحل محمد الصغير أولاد أحمد؟

لا شكّ أن ما يحدث على الساحة السياسية العربية وفي كواليسها، ينافس أعتى أنواع العمل الدرامي من تراجيديا وكوميديا، وأكشن، وحتى الفانتازيا التاريخية، تتناولها الألسن في المقاهي والمنازل همسا وجهرا، فلماذا لا تقترب منها الكاميرا؟ خصوصا وأن التداخل بين السياسي والاجتماعي صار واقعا.. وقد يزيد من دسامة المادة الدرامية، ويزيدها غنى وتنوّعا.

عادة لا تطل السياسة برأسها في الشاشات العربية إلاّ عبر اللوحات والحلقات الكوميدية المتصلة حينا والمنفصلة حينا آخر، لكنها تتناول فقط ظلالها وتأثيراتها عن طريق كاركترات نمطية تعتمد النقد عبر القفشات والنكات، ولا تهتم لمسارات درامية أكثر واقعية وعمقا وجدية.

الكوميديا السياسية في العالم العربي تظهر في الموسم الرمضاني على شكل وجبات خفيفة، بهدف التسلية والإضحاك كمتنفس اجتماعي يتصدّى للاحتقانات الاجتماعية دون الاستناد إلى نصوص احترافية تتوفر فيها شروط الدراما الحقيقية.

ومن هذه الأعمال التي نجح بعضها وأخفق بعضها الآخر منذ قرابة العقدين، نذكر سلسلة "مرايا" للفنان السوري ياسر العظمة، "بقعة ضوء" التي يتناوب على كتابتها مؤلفون متباينو الموهبة، بالإضافة إلى الفنان السعودي الموهوب ناصر القصبي، وآخرون من هنا وهناك لعل أميزها ما أنتجته القنوات التلفزيونية التونسية التي لم تعد تُبالي بالرقابة السياسية في ظل هامش ديمقراطي مريح، وأصبحت لا تخشى إلاّ من الرقابة الاجتماعية.. وهي الأخطر على ما يبدو.

استقطاب موجّه

القضية أن الخط السياسي في أي عمل درامي، يساير وقد يساند أو يوازي خطوطا أخرى تتعرّض للعلاقات الاجتماعية، وليس موضوعا في ذاته كما نجد في أعمال أجنبية متخصّصة.

«أم هارون».. دراما حقبوية تم توظيفها سياسيا

قد يقول قائل إن الموضوع السياسي يدعو للملل والضجر لدى جمهور عريض من الناس الذين اعتادوا قصص الغرام وغيرها في التلفزيونات العربية، لكن الواقع والتجربة يثبتان عكس ذلك، خصوصا في قضايا تتعلق بالفساد والإرهاب وما يتعلق بهما من استقطابات ومحسوبيات بل وحتى الجاسوسية والمغامرات البوليسية بالنسبة إلى عشاق مشاهد الحركة والمطاردات.

صحيح أن السياسة قد ألقت بظلالها على عدد كبير من المسلسلات الرمضانية المصرية التي عرضت في موسم هذا العام، كما يمكن القول إن نسبتها فاقت الأعوام الماضية، لكنها لم تكسر طوق ما يمكن تسميته بـ"الوطنيات الحماسية" كما في مسلسل "الاختيار 2" الذي قد يراه البعض معبّرا عن سياسة وأحداث مصرية داخلية، ووصل إلى جمهور واسع في العالم العربي.

لكن المشكلة في الأمر هي ليّ عنق الدراما السياسية وتوظيفها في الاتجاه الدعائي تحت مسميات وذرائع مختلفة كما ورد في حديث الناقد المصري أحمد النجار، الذي يساند هذا التوجه التعبوي بقوله إن "الدراما أصبحت منذ سنوات قليلة وسيلة من وسائل الوعي السياسي والتوضيح في ظل التضليل الذي تمارسه بعض الجهات الإعلامية الأجنبية ووجود قنوات تحرّض على الفتنة وتقلب الحقائق، ومن هنا برزغت الدراما لتكون وسيلة وعي ضد التضليل".

أما الأخطر من ذلك هو أن توظف الدراما السياسية لتصفية الحسابات وتغذية الخلافات العربية العربية.. ساعتها يصبح الخوض في الشأن السياسي ملغما وموبوءا حين يدير ظهره إلى مشاكل الداخل ويلتفت إلى الخارج مثله مثل أي آلة إعلامية مأجورة وتشتغل على تزوير الحقائق.

ولعل أبرز مثال على ذلك، الممثل السوري زهير رمضان رئيس نقابة الفنانين في الداخل السوري، حين استعار شخصية "المختار" في المسلسل الناجح "ضيعة ضايعة" ليستخدمها في الدعاية السياسية للنظام الحاكم، ومهاجمة دول عربية لم تقف إلى جانب السياسة السورية، ممّا يقيم الدليل على أن الأنظمة الشمولية تقف بالمرصاد لأي دراما تتناول الشأن الداخلي، وتستخدمها كرأس حربة للتهجّم على الخارج من أجل إبعاد الشبهات.

> ما يحدث على الساحة السياسية العربية وفي كواليسها، ينافس أعتى أنواع الدراما، لكن للرقابة رأي آخر

وثمة مثال آخر أكثر افتراء ممّا سبق ذكره، وهو أن يقتطع النقد المغرض والموجه جزءا من حكاية درامية ليكسوها بلبوس سياسية، ثم يرفقها بالمزايدات القومية كما حصل مع المسلسل الخليجي "أم هارون" الذي تؤدّي البطولة فيه الكويتية حياة الفهد، التي لعبت دور طبيبة يهودية ضمن نسيج اجتماعي كان سائدا فترة الأربعينات.

صفوة القول إن الدراما السياسية في العالم العربي اثنتان (وللأسف الشديد): واحدة تتمحور حول الدعاية لنظام بعينه أو تستخدم ضد خصوم في الخارج، وثانية توجد خارج المادة الدرامية نفسها، وتتعلق حول التوظيف السياسي لأعمال لا تتناول السياسة أصلا، كموضوع لها، وإنما وقع ليّ عنقها وذراعها.

هل بات من المؤسف التحسّر على الدراما العربية في بواكيرها الأولى حين قدّم يحيى العلمي مسلسلي "العملاق" و"الأيام"، ويتناول الأول سيرة محمود العقاد، والثاني سيرة طه حسين، ضمن تحوّلات فكرية وسياسية هامة، لم تثر أي حساسية نقدية بل وجدت لها جمهورا عريضا على امتداد العالم العربي.

الدراما السياسية في العالم العربي حقل مثمر وغني، لكن السياسة الدرامية حولته إلى أرض يباب.

«صديق العمر» الدعاية السياسية همّشت بعض الوقائع التاريخية

«رق الحبيب» دراما مصرية تناقش جحود الأبناء تجاه الآباء

القاهرة – يواصل المخرج إسماعيل فاروق تصوير حكاية "رق الحبيب" إحدى حكايات المسلسل المصري "ورا كل باب" في موسمه الثاني، حيث تجمع المشاهد التي تم تنفيذها في دار المسنين بالعاصمة المصرية القاهرة بين سوسن بدر وإيمي طلعت زكريا ومروة عبدالمنعم.

وتناقش حكاية "رق الحبيب" جحود الأبناء تجاه الآباء من خلال أسرة ميسورة الحال تقوم بوضع والدتها في دار المسنين والمعاناة التي يعيشها كبار السن نتيجة هذا الجحود، كما تتطرّق الحكاية إلى مشكلات الميراث والطمع السائد في بعض الأسر المصرية، لتتوالى الأحداث في إطار درامي مشوّق.

ويُشارك في بطولة العمل إلى جانب بدر كل من أحمد فؤاد سليم وإيهاب فهمي ومروة عبدالمنعم وإيمي طلعت زكريا وشريف خيرالله ومحمد نجاتي وأيمن عزب وأحمد كامل وبسنت النبراوي وبرلنتي فؤاد وآخرون، وهو من تأليف أحمد عبدالفتاح وإخراج إسماعيل فاروق، وإنتاج شركة سينرجي، ويصل عدد حلقاته إلى خمس وأربعين في خمس حكايات، كل حكاية تنقسم إلى تسع حلقات بنجوم ومؤلف ومخرج مختلفين.

وعن المسلسل قالت بطلته سوسن بدر "حكاية 'رق الحبيب' تقدّم رسالة إنسانية من واقع المجتمع، وهي جحود الأبناء"، متمنية أن تنال الحكاية إعجاب الجمهور وقت عرضها خلال الأسابيع القادمة.

وأضافت بدر أن الجانب الإنساني في الشخصية التي تقدّمها كان سببا رئيسيا في تحمّسها لتقديمها، خاصة أن العمل اجتماعي يناقش قضية جحود الأبناء تجاه الآباء ومشاكل الميراث والطمع السائد في المجتمع.

ولفتت إلى أن دورها خلال الأحداث مركّب وفيه تناقضات كبيرة، حيث تجسّد خلال أحداث الحكاية دور امرأة مسنّة تعاني من عقوق أبنائها الذين يضطرون إلى وضعها بدار رعاية المسنين.

وأوضحت أن لديها شروطا محدّدة في العمل، حيث تهمّها التفاصيل ووجود توافق في التحضيرات ليخرج العمل بشكل جيد، وهو ما تعتقد أنها نجحت في تحقيقه في معظم أعمالها.

وأشارت إلى أنها تحبّ التنوّع في أعمالها وعدم الثبات على نوع محدّد في الأداء، خصوصا إذا عرضت عليها أفكار مميّزة تُعالج قضايا إنسانية مسكوتا عنها كقضية عقوق الوالدين.

ويؤدّي أحمد كامل دور "خالد" ابن سوسن بدر ضمن أحداث المسلسل، حيث تحدث بينهما الكثير من الصراعات على مدار الحلقات.

وقال كامل عن تعاونه الأول مع بدر "هي فنانة عظيمة تضيف إلى أي ممثل يقف أمامها، وأنا محظوظ بالتعاون معها، فأول ما شدّني في دور خالد أن سوسن بدر أمه".

كما تقوم الفنانة إيمي طلعت زكريا بدور الابنة العاقة لوالدتها، حيث تضعها بالتعاون مع إخوتها في دار المسنين، متمنية أن ينال المسلسل إعجاب الجماهير وقت عرضه، خاصة أن الشخصية التي تقدّمها جديدة ولم تظهر بها من قبل.

وانتهت قناة "الحياة" المصرية أخيرا من عرض القصة الأولى من الموسم الثاني من مسلسل "ورا كل باب"، والتي حملت عنوان "كدبة كبيرة" من بطولة الفنان أحمد زاهر والفنانة هنادي مهني، وهي حكاية مكوّنة من خمس حلقات، من تأليف إسلام حافظ وإخراج سميح النقاش تم التعرّض فيها إلى واحدة من المشكلات الخطيرة التي تتعلق بالنخبة، وناجمة عن الإسراف في التعامل مع منصات التواصل الاجتماعي ومحاولات البعض تسخيرها لتحقيق الشهرة عن طريق نشر الشائعات والترويج لها في المجتمع، دون اهتمام بما تخلفه من أضرار.

وألقى المسلسل الضوء على فكرة صنع ترند كاذب، بظهور ممثلة نكرة (جسّدت دورها إيمان سلامة) تبحث عن الشهرة بأي طريقة، فتظهر دائما في فيديوهات تتحدّث مع جمهورها، إلى أن قرّرت أن تخترع كذبة بقولها إن الممثل الشهير "يحيى أبوالمجد" (أحمد زاهر) تحرش بها خلال عمل مشترك جمعهما، ونجحت في تصدّر الترند وزيادة عدد متابعيها والظهور في برامج حوارية عديدة.

كما نقل المسلسل صورة مختلفة عن الوسط الفني والمشكلات التي يواجهها الفنانون، خاصة إذا كانوا في بداية الطريق، كمشكلة خريجي معاهد التمثيل الذين درسوا التمثيل وتفوقوا فيه لكن لا يجدون الفرصة، في حين أن هناك فنانة مغمورة لا تجيد التمثيل، تصبح حديث الشارع والمنصات والإعلام، إثر تواجدها المكثّف على مواقع التواصل الاجتماعي باختلاقها للشائعات.

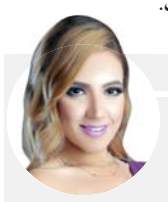

إيمي طلعت زكريا

أجسّد في المسلسل شخصية جديدة لم أظهر بها من قبل

أما الحكاية الجديدة التي شرعت قناة "الحياة" في عرضها السبت فأتت تحت عنوان "عائلة جيجي" وهي من تأليف محمد الشواف وإخراج منال الصيفي، وبطولة كل من هدى الأتربي وإسلام جمال وليلى عز العرب ونادين وهند عبدالحليم وآخرين.

وتتناول حكاية "عائلة جيجي" على غرار "كدبة كبيرة" الحديث عن السوشيال ميديا ومخاطرها وما يحدث في العالم الافتراضي.

وانتهى طاقم المسلسل من تصوير الحكاية الثالثة التي حملت عنوان "قلب مفتوح" بطولة كمال أبورية وفيدرا وميدو عادل وعماد رشاد ونور إيهاب ورانيا ملاح وهايدي رفعت ومن إخراج أحمد خالد أمين.

ومسلسل "ورا كل باب" في جزئه الأول عرض قبل شهر رمضان الماضي، وشهد نسب متابعة عالية لما يحويه من قصص إنسانية واقعية مؤثرة، وتضمن خمس حكايات متصلة منفصلة هي "مالناش إلا بعض" بطولة صابرين، و"يوم من الأيام" بطولة أحمد خليل ويوسف عثمان، و"شنطة سفر" بطولة دينا وأحمد صيام، و"أيامنا الحلوة" بطولة محسن محيى الدين ومنى عبدالغني، و"ورقة ضغط" بطولة فتحي عبدالوهاب ورشا مهدي.

ووضع فكرة العمل الكاتب يسري الفخراني من واقع الحياة، ويعتمد في مجمل الأفكار التي جرى التطرّق إليها على حكايات منفصلة متصلة كل منها لا يزيد عن خمس حلقات، وله أبطال ومؤلف ومخرج في إطار اجتماعي يتضمّن العديد من القضايا التي تهمّ عددا كبيرا من المواطنين، وتتطرّق إلى نماذج من همومهم التي يعايشونها.

أم تقع ضحية أطماع أبنائها